ISLĀMIYYĀT 11 (1990) 58 – 92

شرح بعض أبيات من سينية البحترى

تڠكو غاني تڠكو جوسه

ABSTRAK

Penyaır al-Buhturu (206H – 284H) adalah termasuk dalam kategorı keempat penyaır Abbasıah. Nama sebenarnya ıalah al-Walid bın ᶜUbaydillah bın Yahya bın ᶜUbayd bın Syımat bın Jabır. Beliau amat terkenal dalam puısı gambaran terutamanya tentang gambaran "Iwankısra" (Balaırong Maharaja Parsı) yang terletak di "al-Madinah al-Baıda" atau juga dikenali dengan nama "al-Madaın" yang terletak lebih kurang dua puluh batu ke tımur Baghdad. Puısı sınıyyah dinamakan dengan sınnıyyah kerana qafiah ını berakhır dengan huruf sın) mengandungı 56 barıs yang memuji tentang keagungan Maharaja Parsı dan keagungan Balaırong tersebut. Artikel ını membıcarakan sebahagıan darı puısı ını.

سينية البحترى.

وصف الايوان هو الذى رفع منزلة البحترى، وأحله فى الطبقة الأولى من شعراء معاصريه. فقد أوتى منقوة المخيلة وروعة التصور ما جعله يتناول الأشياء المادية فيرسمها بشعره لمحا، فينتج لها صورا دقيقة بارعة الفن، وهذا كلها نجد فى سينية البحترى التىسنتصعبها تصفحا عميقا.

وهذه القصيدة التى تعتبر من أروع ما فى الشعر العربى، يرى بعض المحققين أن البحترى نظمها عقب مقتل المتوكل مباشرة ولكن الحقيقة هى أنها نظمت بعد هذا الحادث بثلاث وعشرين سنة أى فى سنة ٢٧٠هـ. فان البحترى لم يتحه الى إيوانكسرى عقب مقتل المتوكل بل اتجه الى الحجاز فحج، وعاد من حجه ليمدح المنتصر.[1]

واذا تقصينا ذكر الايوان فى شعر البحترى وجدنا أنه وارد فى قصائده التى نظمها فى سنة ٢٧١هـ أى بعد مروره بالايوان، فهو يقول فى مدح ابن ثوابه :[٢]

قد مدحنا ايوان كسرى وحيّنا ×
نستثيب النعمى من ابن ثوابه .

وهو يقول أيضا فى مدح عبدون بن مخلد :[٣]

زورة قيصت لايوان كسرى ×
لم يردها كسرى ولا ايوانه .

وقد ذكر ياقوت هذا الايوان فى مادة "الأبيض" فقال أنه "قصرا للأكاسرة بالمدائن، كان من عجائب الدنيا، لم يزل قائما الى أيام المكتفى فى حدود سنة ٢٩٠، فانه نقض وبنى بشرفاته أساس التاج الذى بدار الخلافة وبأساسه شرافاته "ثم عاد فذكره فى مادة "الإيوان" فقال "إيوان كسرى الذى بالمدائن، مدائن كسرى، زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك" وقال انه رآه "قد بقى منه طاق الايوان حسن وهو

---

١ ـ الصيرفى حسن كامل، ديوان البحترى، حـ ١، ص : ٠٤٧٠

٢ ـ الصير فى حسن كامل، ديوان البحترى، حـ ١، ص : ٠٤٧٠

٣ ـ نفس الكتاب حـ ١، ص : ٠٤٧٠

مبنى بآجر طول كل آجرة نحو ذراع فى عرض أقل من شبر وهو عظيم جدا".[٤]

ويعرف الآن هذا الايوان باسم "طاق كسرى"وتسمى الناحية التى بها" ناحية سلمان باك" باسم الصحابى سلمان الفارسى، وهى على مسافة ٣٠ كيلومترا من بغداد جنوبها. وعرض هذا الطاق ٢٥ مترا وارتفاعه ٣٧ مترا.[٥]

مناسبة القصيدة.

سئم الشاعر الحياة ببغداد، وضاق بالغربة فى سبيل العيش وبالسنين التى انقضت بعد أن تركت فى نفسه آثارا لا تمحى، فنالت من كرامته والانت من اباءه، فهفت نفسه للعودة الى الشام، ليعيش فى وطنه بين الأهل والأحباب رحا وصرح وألف بأن الملل والتعاسة قد استوليا عليه فى بغداد فلا الظل واسع، ولا العيش رغد ولا السعادة موفورة حن الى مسقط رأسه وتمنى أن يعود الى الشام فله فيها طفولة وشباب وله فيها قلوب صافية ومراتع حضراء تنتظره، ونعيم يتقلب فيه مستمتع رغيد وحياة وارفة الظلال فنراه يطلق الزفرات الحارة، ويتحسر فى آسى شديد حين يقول:[٦]

---

٤ ـ الصير فى حسن كامل، ديوان البحترى، ج ١، ص : ٤٧٠.

٥ ـ نفس الكتاب، ج ١، ص : ٤٧٠.

فأصبحت في بغداد لا الظل واسع ×

ولا العيش عص في عصارته رطب

أأمدح عمال الطساسيج راعيا ×

اليهم، ولي بالشام مستمتع رغب

فأراد أن يخفف عن نفسه آلام الغربة، ولوعة الأسى، ويبدد آمة النفس، ويبذل مناظر العيش، فخرج في رحلته متجها صوب المدائن، فمر بايوان كسرى ملك الفرس، ووقف مشدوها أمام هذا البنيان الصامد على مر الأيام، الشامخ رغم تقلبات الأحداث يقف حدا شامخا لا تزحزحه العواصف والأنواع، فيجد في الايوان صورة يتخذ لنفسه منها مثلا فالسآمة قد فتكت بروحه، والأحداث ألمت بحياته، ويجب أن يتماسك ويصمد امام الأحداث، لا ينحى ولا يتضامن، أليس الانسان أعظم قيمة من الحماد، وأرجح فكرا من الأحجار؟ ألا ينبغي أن يستشعر العزة في نفسه والقوة في كيانه مثل هذا البنيان فلا يتهاوى ولا يتلاشى؟ [٧]

ان في الايوان صورة من نفسه، ونفحة من روحه، فامتزج به، وأسر اليه بمكنون نفسه، والآمة وآماله: لقد رأى في الايوان المجد الذي ولى، والعز الذي أدبر، فعكس له صورة حياته، وما فيها من مجد كاد ينقضي، وخاف أوشك أن يزول،

---

٦ ـ عبدالقادر حسين، مختارات من الشعر في العصر العباسي، ص: ٣٥.

٧ ـ عبدالقادر حسين، مختارات من الشعر في العصر العباسي، ص: ٣٦.

وكأن الايوان يودع بين أحجاره الظاهرة ما يخفيه البحترى بين جوانحه الغائرة ، فانطلقت الآمة النفسية من مكامنها ،واندفعت من أحشائه فى صورة شعرية موءثرة ، فكانت هذه القصيدة الخالدة .[٨]

الوصف العام للقصيدة .

(تقسيم القصيدة الى المراحل)

ان الشاعر فى المرحلة الأولى من القصيدة يذكر خطوب الزمان، ويخص آل ساسان وقد كانوا خافضين فى ظل عيش رغيد ونعمى وقصور وكيف أحنى عليهم الزمان فتهدم ايوانهم وأصبحت أعراسهم مآتم وأفراحهم أتراحا ، ويذكر البحترى صورة رآها على حائط الديوان الديوان لمعركة بين الفرس والروم فى أنطاكية ارتاب لفرط اتقانها حتى ظن أنها لقوم أحياء وأنها معركة حقيقية ولم يذهب ارتيابه الا بعد أن لمسها بيديه ،والبحترى فى تصويره لهذه الحلقة من قصيدته يبدو عملاقا فى دنيا الشعر بحيث يهاب أى شاعر آخر معارضته فيها أو تقليده الا الأقوياء العمالقة من شعراء العربية .[٩] وأما المرحلة تتضمن الأبيات من الأول الى البيت الثامن وعشرين.[١٠]

---

٨ ـ نفس الكتاب، ص : ٣٦٠

٩ ـ الشكعة مصطفى الدكتور، الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٧٢٥٠

ويفعل البحترى بالايوان ما فعله آدم بن عبدالعزيز من قبل حين وقف عليه وسكر وتخيل أنه كسرى فى يوم المهرجان، عامدا الى اظهار أساه على ملك قد ذهب ومجد قد زال ودولة قد اضمحلت، وكأنه كان يبكى ملك قومه بنى أمية. ان البحترى يطلب من ولده أبى الغوث أن يسقيه مداها تكاد تضيء لعتقها، فاذا ما سكرتوهم أن "كسرى أبرويز" ينادمه ويعاطيه وأن "البلهبذ" مغنى كسرى يطربه ويغنيه [11] وتلك هى المرحلة الثانية من السينية. وهذه المرحلة تبدأ من بيت ٢٩ الى بيت ٣٤.[12]

وأما المرحلة الثالثة منها فعامرة بالأحاسيس زاخرة بالصور، مليئة بالأسى مفعمة بالحزن، ان الايوان كئيب حزين سيىء الحظ، يبدى تجلدا ويبدو محتفظا بجلالة وروعته رغم تعريه من فخامة بسط الديباج ونفاسة أستار الدمقس وهو فى جلاله عال رفيع سامح أنيس يحار المرء فيمن بناه هل هم أنس أم جن، ويتخيل الشاعر - وقد سرح بطرفه الى الماضى - الوفود القادمة حسرى متأخرة، والقيان الحميلات يعزفن سحرا ويطلقن

١٠- انظر كتاب الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٧٢٥.

١١ - الشكعة مصطفى الدكتور، الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٧٢٦ - ٧٢٧.

١٢ - انظر كتاب الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٧٢٦ - ٧٢٧.

أنغاما فى المقاصير التى عمرت دهرا وحرجت دهرا فصارت رمزا للأسى ومقصدا للتأسى.[١٣]

وبدأت المرحلة الثالثة من بيت ٣٥ الى بيت ٥٦٠[١٤] وهنا نستخلص أن المراحل فى سينية البحترى ثلاثة تتصمستا وخمسين بيتا والآن نرى لماذا اختار قافية السين فى قرض شعره حتى يقال سينية البحترى.

سبب اختيار قافية السين.

ان الشاعر يختار قافية السين، وهى قافية حزينة سبق أن ركب متنها فى نفس المناسبة أبو العباس الأعمى وأبو عدى العلى حين بكيا ملك بنى أمية، والبحترى لا يلين حاشية القافية بحرف علة قبلها حتى تكون مسعفة فى قصيدته الطويلة، بل انه يعرض بصاعة شعره ومقدرته الصوعية حين يكثر من استعمال كلمات القافية فى البيت الواحد مثل نعسى، وعنسى وعبسى، بل هو قد بنى التكوين الموسيقى للقصيدة ـ حسما يذهب صديقنا وتلميذنا الدكتور عبدالرحمن عطة ـ على الحروف الصغيرية كالسين والصاد والزاى وجعلها محورا تدور عليه معظم تعابيرها.[١٤]

---

١٣ ـ الشكعة مصطفى الدكتور، الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٠٧٢٥

١٤ ـ الشكعة مصطفى الدكتور، الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ص : ٠٧٢٥

بعد أن تصفحنا سينية البحترى بطريقة احمالية ومايتعلق بها من مناسبة القصيدة والوصف العام للقصيدة وسبب اختيار قافية السين فيحسن بنا الآن أن نحلل أبياتها ونشرحها شرحا وافيا وأدبيا على قدر استطاعتنا. ولا نهدف من هذا العمل المضنى سوى اقناع حبى للبحترى وللشعر العربى مهما كلفنى فى هذا السبيل مصاعب ومشقات غير محتملة.

منهاجى فى شرح القصيدة

قبيل أن أشرح هذه القصيدة ينبغى على ان الم بجميع المراجع الأدبية المتعلقة بها أمثال ديوان البحترى لحسن كامل الصيرفى والرائد فى الأدب العربى لنعيم الحمصى والبحترى للدكتور أحمد أحمد بدوى والشعر والشعراء فى العصر العباسى للدكتور مصطفى الشكعة ونصوص مختارة من الأدب العربى للدكتورعبدالكريم الأشتر والأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى لمحمود مصطفى وأدباء العرب فى الأعصر العباسية لعمر فروخ ومختارات من الشعر فى العصر العباسى للدكتور عبدالقادر حسين وتاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى بالمشرق للساعى بيومى وأمراءالشعر العربى فى العصر العباسى لأنيس المقدسى والمنتخب من المجانى الحديثة للأستاذ المشارك عثمان حاج حالد. وينبغى على كذلك أن أشرح معانى المفردات لأن فهم بيت من أبيات القصيدة يتوقف كليا على فهم ما ورد بالبيت من المفردات. وفى خلال هذا الشرح تركت النقط البلاغية والآراء النحوية وأهملت خلافات الشراح

وبيان أصول الكلمات تحسا من التطويل.

لست مغاليا لو قلت اننى لقيت صعوبات جمة فى كتابة هذا الشرح واتمامه وذلك لصعوبة لغة الصاد التى كتب بها النص وهى لغة لا يجيدها الا أبناءوها وما أنا الا معجب بها فحسب. ومهما يكن من أمر فان حبى للبحترى وللشعر العربى كله وعنايتى باللغة العربية وآدابها كل ذلك دفعنى الى أداءهذا الواجب مهما صعب ـ وأرجو أن يكون هذا الشرح رغم صغر حجمه وردائة أسلوبه مرجعا للراغبين فى الأدب العربى.

شرح الأبيات:

١ ـ صنت نفسى عما يدنس نفسى ×
وترفعت عن جدا كل جبس

المعردات:

صان عن : حفظ من
يدنس : يعيب
ترفعت : تعاليت
جدا : عطاء

الشرح.

لقد حفظ الشاعر نفسه من كل ما يعيبها ويحنبها عن كل ما يشنها وتعالت نفسه عن قبول هبات اللئام وعطاياهم.

٢ ـ وتماسكت حين زعزعنى الدهـ x

ر التماسا منه لتعسى ونكسى.

المفردات.

تماسكت : تجلدت

زعزعنى : حركنى بعنف ونال منى

التماسا : طالبا منه

تعسى : هلاكى او شقائى

النكس : النكس هو انقلاب الرحل على رأسه ، أو سقوطه كلما نهض.

الشرح.

وتجلدت للدهر حين رمانى بمصائبه ونكباته يريد أن ينال منى مبتغيا تعثرى وسقوطى والحاق الأذى بى وهلاكى أو رغبة فى سوء حالى ولكنى قد صنت نفسى عن عواصف الدهر وتماسكت فلم يستطيع أن يصيبنى بمصيبة وذهب سعيه ادراج الرياح.

٣ ـ بلغ من صبابة العيش عندى x

طفقتها الأيام تطعيف بخس.

المفردات.

البلغ : جمع بلغة وهى ما يتبلغ به فى العيش

ولا يعصل منه شيىء أى مقدار مايمسك الرمق.

الصبابة : البقية من الماء أو الطعام أو نحوهما فى الاناء.

طفّفتها : نقصتها، والتطفيف: النقص فى الوزن والتقدير أو يستعمل للزيادة وللنقص وقد استعملها القرآن للمعنيين حين قال (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون).[١٥]

والبخس : النقص والعبن يقال بخسه حقه اذا عنه وبقصه اياه. وتستعمل بمعنى القليل أو الرخيص الذى لا قيمة له.

الشرح.

يقول ان ما أتزود به من طعام وقوت وأسقيه من شراب لا يكاد يقيم أودى الا بشق الأنفس، ومع ذلك فان الأيام تستكثر على هذا القوت البديهى فنسخه، وتنقص فى وزنه وتقديره أو بعبارة أخرى وليس عندى من بقية العيش الا القليل أو الرخيص الذى بخسته ونقصته الأيام تباعا.

---

١٥ ـ القرآن، سورة التطفيف، اية : ١ ـ ٢.

٤ ـ وبعيد ما بين وارد رفه ×

علل شربه ووارد خمس.

المفردات.

الوارد : الذى يرد الماء.

الرفه : طيب العيش ولينه أو الخصب وهما كثرة الماء من رفهت الابل اذا وردت الماء كل يوم، ومتى شأت.

علل : ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذى يسعى النهل أ(أن تشرب الكرة بعد الكرة (عدة مرات) وهو عكس النهل.

اخمس : أن ترعى الابل ثلاثة أيام وتردالماء فى اليوم الرابع وهى ظماءى فاذا جاء اليوم الخامس عادت الى المرعى.

الشرح.

ان البون شاسع والمسافة بعيدة بين من يعيش فى ترف من الحياة ويتمتع بنعم حضارتها ومدنياتها يجد كل ما يريده حاضرا بين يديه وبين من يقاسى شظف العيش ومشقة الحياة ولا يكاد يجد الشىء الضرورى الا بعد لأى .....

٥ ـ وكأن الزمان أصبح محموـ ×

لا هواه مع الأخس الأخس

المفردات.

الهوى : الميل أو الرغبة.

الأخس : الأكثر خساسة أى دناءة وحقارة، الأخس الأخس أى أدنى الناس بل أدنى الأدنياء.

الشرح.

فالزمان يميل مع ضعاف الناس ويواتيهم بخيراته بل أنه يصطفى أدنى الأدنياء ليمنحه الحظ والثراء والجاه، وينفر من خيار الناس وفضلاء الرجال فلا يغدق عليهم من حظوظه وخيراته، وانما يقف لهم بالمرصاد ليعاندهم ويعاكسهم، فهذا طبع الزمان، يمنع الصفوة من البشر، ويمنح الأراذل من الخلق، يصف الأذال ويحور على الأخيار. وبعبارة أخرى لقد أصبح الزمان يقسو على الشاعر ويجفو به، وكأن هواه أو رغبته مع انذال الناس ولئيمهم.

٦ ـ واشترائى العراق حطة غبن ×

بعد بيعى الشام بيعة وكس

المفردات:

اشترائىالعراق : اقامتى بها أى ايثارى اياها وسكنى بها.

الغبن : الحداع أو الحارة فى البيعوالشراء

بيعى الشام : تركى الشام لأسكن فى عيرها.

الوكس : النقصان والخسران.

الشرح:

ان مقامى بالعراق هو خطة الخداع لا أرضاهالنفسى وأكرهها بعد أن رحلت عن وطنى بالشام وبعته بيعا خاسرا أى أنه لخسارة له ان يترك الشام ويستوطن العراق.

٧ - لا ترزنى مزاولا لاختيارى ×

بعد هذى البلوى فتنكر مسى

المفردات:

راز : يروز : جربه ويجربه : من راز الحجر يروزه وزنه ليعرف ثقله.

مزاولا : محاولا وساعيا.

وتنكر : بمعنى تستنكر وتعجب لتغير الشيء حتى كأنك تجهله.

تنكر مسى : تجدنى أبيا عنيفا منكر الجانب

الشرح.

أيهذا الذى يريد أن يجربنى احتنب هذا الفعل. فانك ان فعلت وجدتنى عنيفا عنيدا متصلبا منكرا ولا أحاف من تحريبك ولا أحر من اختبارك، لأن قلبى هادىء ثابت لا يزعزعه انسان أبدا.

٨ - وقديما عهدتنى ذا هنات x

أبيات على الدنيات شمس.

المفردات.

الهنات : جمع هنة وهى السقطة أو العيب أو حصال الشر واردها الشاعر مطلق الحصال أو الحصلة الصعبة.

آبيات : آنفات أو لا ترضى من قولهم : فلان يأبى الذل أى يأنف منه ويترفع عنه، وتأتى هنا بمعنى عاصيات أومستعصيات.

الشمس : من الخيل هى التى تمنع ظهرها ولايسلس قيادها. والمراد هنا العنيدة ولا تستسلم.

الشرح.

يقول الشاعر انه صاحب طباع وخصال تأبى الدنية والاستسلام للأمور الخسيسة والارتماء فى أحضانها فنفسها الأبية تأبعها وتتقزز منها، تمقتها وتعافها وتنصرف عنها، يريد ذلك أنه درج على هذه الخصال الحميدة منذ نعومة أظفاره، وشب عليها وليس المراد بكلمة (قديما) أن عهده بهذه الخصال الطيبة كان فى العهد القديم ثم ولى زمانها، بل انها ملازمة له منذ أن تنسم ريح الحياة أو بعبارة سهلة ولقد عرفت نفسى من صفاتى قديما أنها تأبى الدنايا ولا تسام قيادها لخسيس الأمور.

٩ - ولقد رابنى منه ابن عمى × بعد ليس من خلقيه وأنس

المفردات.

رابنى : شككنى وآلمنى أو أوقعنى فى الريب والشك.

النو : النفور والحفوة عكس اللين والأنس.

يقصد البحترى بقوله (ابن عمى) الراهب عبدون بن مخلد فهو من أصل يمنى مثله يرجع نسبه الى الحارث بن كعب

(راجع ترجمته مع القصيدة ١٨٤ صفحة ٤٥٦ للديوان) فهومذحجي، والشاعر طائي، ودليلنا على ذلك أنه نظم هذه القصيدة في الحقبة التي زار فيها عبدون بن مخلد ووجه اليه القصيدة ٧٥٢ التي يتعتذر فيها ويقول (البيت ١٨).[١٦]

من عطاء الآله بلغن نفسي ×
صونها ثم من عطاء ابن عمي.

ويقول فيها البيت ٣٤ وانظر الأبيات التالية له[١٧]

وكان الاعراض عني قضاء ×
فاصل عن اليه منك حتم.

وليس الأمر كما ذهب بعض الدارسين من أن المراد (باس عم الشاعر) الخليفة المنتصر، باعتبار أن الخليفة عدنانيي والبحتري قحطاني، وعدنان وقحطان كأنهما اخوان، لأنهما أبو شعبي العرب ظنا منهم أن البحتري قال هذه القصيدة بعد وفاة المتوكل مباشرة، واعراض ابنه المنتصر عنه، لأنه رثى المتوكل ولكن هذه القصيدة لم ينظمها البحتري بعد مقتل المتوكل مباشرة وانما بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة.[١٨]

---

١٦ – الصير في حسن كامل، ديوان البحتري، حـ ٢،ص : ١١٥٣.

١٧ – نفس الكتاب ص : ١١٥٣.

١٨ – نفس الكتاب ص : ١١٥٢.

الشرح.

ولذلك يكون المراد بهذا البيت هنا ان مما أقع الريبة فى نفسه (الشاعر هو البحترى) حفوة ابن عمى (عبدون بن محلد وانكاره اياى بعد أن لمست سابقا المودة والأنس.

١٠ - واذا ما جفيت كنت جديرا x
أن أرى غير مصبح حيث أمشى

المفردات.

جفا صاحبه : أعرض عنه ولم يؤانسه

الشرح

وان أعرض عنى ابن عمى (عبدون بن مخلد) وأنكرنى حقا فخطتى فى الحياة الا استقر فى مكان معين،وينبغى الا اقيم فى الصباح بالمكان الذى كنت أتواجد فيه فى المساء.

والشاعر صور فى البيت السابق كيف كان ابن عمه لينا معه ، حفياله ، ومقدراله ، ثم جفاه وتنكر له وأعرض عنه ، ونفر منه مما آلم قلبه ، ولذع فؤاده وأوقعه فى حيرة من أمره وشك فى تصرفه ، وأسلمه الى

الهواجس والظنون، فما الذى بدر منه حتى يحـــد هـــذا الأعراض وهذا الحفاء؟.

١١ ـ حصرت رحلى الهمـــوم فوحـه ×

ت الى أبيـض المدائن عنســى

المفردات.

حصـرت : نزلت

عنسـى : الناقة السمينة الوثيقة الخلق.

الشـرح.

نزلت على الأحزان من كل ناحية وأحاطت بى الهمـوم من كل جانب. فلم يعد لى غير الرحيل بعد معاناتـــى من هذه الأحوال الرديئة فتوجهت ناقتى القوية السمينة الوثيقة الخلق القادرة على متاعب الطريق الى المدائـــن.

١٢ ـ أتسلـى عن الحظـوظ وآســى ×

لمحـل من آل ساسـان درس

المفردات.

يتسلى عن الحظوظ : يحاول أن ينسى حظه العاثـر

آســى : أحزن.

آل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أسسوا المملكة الساسانية .

درس : مندرس وهو ما عفا أثره .

الشرح .

فشاعرنا البحترى يحاول أن ينسى حظه العاثر وحزنه الشديد فهوا اذن يجد فى القصر الأبيض المندرس مايشاركه فى أحزانه وأتراحه .

١٣ - أذكرتنيهم الخطوب التوالى ×
ولقد تذكر الخطوب وتنسى

المفردات.

الخطوب : المصائب.

التوالى : المتتالية .

الشرح .

ولقد ذكرتنى بهم المصائب المتتالية التى نزلت على الدولة العباسية فى خلفائه من تحكم العنصر الأجنبى وسيطرته على الخلفاء والتنكيل بهم ولا شك أن المرء حين يشاهد صورة من الصور يتذكر ما يحيط بها من ذكريات موءلمة كانت أم لذيذة .

١٤ ـ وهم حافصون فى ظل عال x

مشرف يحسر العيون ويحسى

المفردات.

هم : آل ساسان.

خافضون : تناعموا العشير من الحفض وهو سعة العيش.

يحسر العيون : يكلها.

يخسى : ينكص عن النظر.

الشرح.

يصف البحترى حياة العرس المنعمة. وكان لآل ساسان سعة العيش وكانوا يعيشون فى هذا القصر الأسيض المرتفع الذى صعفت العيون على تتبعه لتصل الى ذروته ،واحيانا ينكص البصر عن النظر لشدة علوه.

١٥ ـ معلق باسه على جبل القـ x

ق الى دارتى خلاط ومكس

المفردات.

القبق : الجبل المعروف الآن بالقوفاز.

خلاط ومكس : من مدن ارمينية الوسطى.

الـدارة : الأرض الواسعة بين الحبال المرادهنا القصر.

الشـــرح.

صور الشاعر أن باب القصر الأبيض كان معلقا علـــى جبل القوقاز الى دارتى خلاط ومكس وفى مدن أرمينيـــة الوسطى.

١٦ ـ حلـــل لم تكن كأطلال سعدى ×
فـــى قفـــار مـــن الـــنـاس ملـــس

المفردات.

حلـــل : منازل
ملـــس : لا نبات فيها
القفـــار : المكان الخالى
النـــاس : القفار الخالية الصعبة السلـــوك

الشـــرح.

قارن الشاعر بين حياة الفرس الناعمة وحياة العـــرب البدوية وذكر فى هذا البيت أن هذه المنازل العارسيـــة العظيمة لم تكن كأطلال البدو القائمة فى الصحارى الخالية الصعبة السلوك التى لا نبات فيها.

١٧ ـ ومساع لولا المحاباة منى x

لم تطقها مشعاة عنس وعبس

المفردات.

مساع : جمع مسعاة بمعنى الجهد والسعى.

عنس : قبيلة قحطانية من اليمن.

عبس : قبيلة عدنانية من نجد.

الشرح.

ان هذه الآثار قد بذلت فيها وفى بنائها جهود كبيرة لا يستطيع القيام بها سكان البادية وأهل قبيلة قحطانية من اليمن أو قبيلة عدنانية من نجد.

١٨ ـ نقل الدهر عهدهن عن الجدة x

حتى عدون انصاء لبس

المفردات.

الجدة : كونه الشىء جديدا، ضد القدم.

أنصاء : البعير الهزيل المراد هنا القديم الخلق البالى.

اللبس : الدهر قد أبلى هذه الآثار.

الشـرح.

ان هذه الآثار قد تغيرت ألوانها من صفاتهـا الحديدة لأن الدهر قد أبلى هذه كلها وجعلها قديمة كالبعير الهزيل أو كالشيء القديم الخلق البالى.

١٩ ـ فكأن الحرمـار من عدم الأنس x
واخلالـه بنيـة رمـس

المعرد ات.

الحرماز : بناء عند أبيض المدائن.
الأنس : الخلو من السكان.
الأحلال : الترك والهجران.
البنية : البناء.
الرمس : القبر المستوى مع سطح الأرض

الشـرح.

ان البناء القائم عند أبيض المدائن خلو من السكان، صار مهجورا متروكا لا حياة فيه كأنه القبر المستوى مع سطح الأرض فى سكونه ووحشته وجرابه.

٢٠ ـ لو تراه علمت أن الليالى x
جعلت فيه مأتما بعد غرس

الشـرح.

هذا البيت هو بيت رائع لأنه يصور الحمال الحزيـــن فالقصر متهدم ولكنه كان جميلا كالبيت الذى يعدللعرس، ثم يصاب أهله بمصيبة مفاجئة فينقلب الى مأتـــــم. فيكون حميل العرش ولكن الحزن يتلبد عليه ويحيم فيه.

٢١ ـ وهو يبكيك عن عجائب قوم ×

لا يشاب البيان فيهم بلبس،

المعردات.

لا يشاب : لا يخلط.

البيان : الافصاح بالكلام والمراد هنا ما تركوا من آثار فنية تنطق بعظمتهم.

اللبس : العموض،

الشـرح.

تشهد آثار هؤلاء القوم على عظمتهم شهادة ناطقة لا غموض فيها.

٢٢ ـ فاذا ما رأيت صورة أنطا ×

كية ارتعت بين روم وفرس،

المعردات.

أنطاكيـة : مدينة فى شمالى سورية فـــى الحوض الأدنى لنهر العاصى .....

(الأرنـــد : Orontes) على مقربة من مصبه وهى الآن من مدن تركيا وكـــان القدماء .

ملاحظاتى وتعليقاتى.

قبل أن نختتم دراستنا لهذه القصيدة الرائعة ينبغـــى علينا أن نورد هذه الملاحظات لتكون عونالنا على تكوين فكرة عامة كاملة شاملة عن القصيدة .

أولا: يناجى الشاعر فى القصيدة نفسه ويناجى الايـــوان وهو فى حديثه الى نفسه يلائم مقتضى الحال، فينتخب الألفاظ التى تلائم الهمس، ولهذا جعل روى القصيدة السين وهو حرف الهمس الأول، ولا يكتفى بهذا فقط بل يكثر من السين والصاد والهامسين حين يبدأ القصيدة متحدثا عن شجون نفسه وهمومها فيقول:

صنت نفسى عما يدنس نفسى[١٩] ×

وترفعت عن جدا كل جبس

---

١٩ ـ أنظر، ديوان البحترى، ص : ١١٥٢.

وتماسكت حين زعزعنى الدهر ×

التماسا منه لنعسى ونكسى.

فاقراء هذين البيتين تحس كأنك تهمس مخاطبا نفسك وتهمس فى أذن رفيقك وهذه هى حال من تدركه الروعة وهو يرور مكانا دينيا أو مكانا رهيبا فيخفض صوته ويتحدث مع من معه بالهمس.

ثانيا: يعجب البحترى بصورة معركة أنطاكية، وموقف كسرى أنوشروان فيها، وصورة المهوى بعامل الرمح والمليح بالترس فيشمل بالمنظر، ويسقيه صاحبه[20] أبو الغوث الخمر، فتزيده بشوة ويقوى اعجابه فتلاحظ ظاهرة عجيبة فى شعره. فالانسان حين يشرب الخمر يثقل لسانه، ويتلعثم فى كلامه، وكذلك هى حاله حين يزداد اعجابه بأمر من الأمور، فيدركه ما يدرك شارب الخمر، وخير ما يشمل هذه المعثمة والصعوبة فى النطق حرف الجيم، وأنت ترى البحترى يوفق الى تمثيل لهجة العجب ونطقه الصعب بكثرة ترداد الجيم فى هذا البيت الذى جاء عقب اعجابه بصورة انطاكية وعقب شربة الخمر:

وكأن الايوان من عجب الصنـ ×

ـعة حوب فى جنب أرعن جلس[21]

٢٠ـ بعض الشراح يقولون ان أبا الغوث هو ابن للبحترى.

٢١ـ انظر، ديوان البحترى، ص: ١١٥٩.

فأنت هنا تتساءل لم استعمل البحترى الكلمات عجب حوب جنب حلس ولم يستعمل مرادفاتها التى هى أكثر تداولا منها، ثم هل يكثر هنا من ترداد الحيم مصادفة؟ وقد يأخذ عليه من لا ينته لهذه الخاصة من تلاؤم الموسيقى مع العاطفة والفكرة، أنه جاء بما يسمى بالمعاظلة فى المنطق، وبالاكثار من الغريب، ولكن المعاظلة تكون سببا من أسباب البلاغة اذا جاءت فى محلها ووافقت مقتضى الحال كما هو الأمر هنا.[٢٢]

ثالثا: يمتاز وصفه بالحياة والحركة التى يخلقها فى أشخاصه وفى حماداته أيضا، ثم بما يخلقه من الحوار الذى يجعل للقصيدة طلاوة القصة:

لا تزرنى مزاولا لاختبارى ..... ،قد سقانى
ولم يصرد أبو الغوث[٢٣].....

رابعا: الاشارة الى حوادث تاريخية أو أشخاص ماضين لذكرهم صلة بالموضوع: (كسرى أبو شروان، البلهبذ، أرياط .....).

والمنايا مواثل وأنوشر ×
وان يرجى الصفوف تحت الدرفس[٢٤]

---

٢٢ – نعيم الحمصى، الرائد فى الأدب العربى، ص: ١٩٩.

٢٣ – انظر، ديوان البحترى، ص: ١١٥٨.

٢٤ – نفس الكتاب، ص: ١١٥٦.

وتوهمت أن كسرى أبرويـ[٢٥]ـز معاطى والبلهبذ أنسى

وأعانوا على كتائب أريا[٢٦] ط بطعن على النحور ودعس

كل ذلك يدل على اشارات تاريخية وصفها البحترى فى السينية :

خامسا : ونستطيع حين ندرّس الأبيات مفردة ، وحين ندرس القصيدة مجتمعة ، أن نحد كثيرا من وثبات الخيال الرائعة ،ومن التشبيهات اللطيفة والاستعارات والمجازات والكنايات، ونعرض هنا أمثالا تناسبها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى[٢٧] وترفعت عن حدا كل حبس

ترى الشاعر يعبر بالاسم الظاهر بدلا من الضمر فى قوله (يدنس نفسى) ولم يقل عما يدنسها ، زيادة فى التمكين والتثبيت من صيانة نفسه ، وهذا هو السر فى جمال التكرار ومغزاه والعدول

٢٥ـ انظر، ديوان البحترى، ص : ١١٥٨.

٢٦ـ نفس الكتاب، ص ١١٦٢.

٢٧ـ انظر، ديوان البحترى، ص : ١١٥٢.

عن الصمير الى الاسم الظاهر وعطف الشطر الثانى على الأول من التوسط بين الكمالين عند علماء البلاغة .

وكأن الزمان أصح محمو ×

لا هواه مع الأخس الأخس[٢٨] .

نرى كأن فى هذا البيت ليس للتشبيه كما هو واضح من سياق المعنى. ولأن خبرها ليس جامدا. وفى الزمان استعارة مكنية حيث شبهه بانسان له أهواؤه ، ونزواته ، وحذف المشبه به ورمز اليه بشىء من لوتزمه وهو الهوى، وفى تكرار كلمة الأخس تأكيد لمعنى الخسة المتجسمة فى المرء الذى يهواه الزمان ويفضله عن غيره من خيار الناس.

لو تراه علمت أن الليالى ×

جعلت فيه مأتما بعد عرس[٢٩]

فى قوله (جعلت الليالى) مجاز عقلى، لأنه أسند الفعل الى غير الفاعل الحقيقى، فالليالى لا تصنع الأمور من تلقاء نفسها ، وانما الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى وقد شبه حالة الايوان الحاضرة وما أصابه من كدر وتهدم بعد ما كان

---

٢٨ ـ انظر، ديوان البحترى، ص : ١١٥٣.

٢٩ ـ انظر، ديوان البحترى، ص : ١١٥٦.

عليه من نهجة وتماسك بحالة المأتم بعد العرس، فهو من التشبيه التمثيلي، وبين المأتم والعرس طباق.

وهذه كلها عبارات تصف محاسن قصيدة السينية وجمالها وروعتها من الجوانب البلاغية واللفظية والمعنوية وغيرها وهي مؤكدة لما قاله الأديب : استظهاري على البلاغة ثلاثة : القرآن وكلام الجاحظ وشعر البحتري.

المراجع

١ ـ أحمد أحمد بدوي الدكتور،
البحتري، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

٢ ـ الأشتر عبدالكريم الدكتور،
نصوص مختارة من الأدب العربي، المكتبة الحديثة، ١٩٦٩م.

٣ ـ أنيس المقدسي،
أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار اللعم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٤ ـ الأصفهاني، أبو الفرج،
كتاب الأغاني، ج ١٨، مطبعة التقدم بمصر، بدون تاريخ.

٥ ـ ابن الأثير، عزالدين ابن الأثير الجزري،
اللباب في تهذيب الأنساب الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

٦ ـ أحمد الاسكندى، الشيح،
الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه، دارالمعارف، بمصر، ١٩١٦م.

٧ ـ ابن خلكان، أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان،
وفيات الأعيان، المحلد السادس، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٦٧م.

٨ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون،
أعمال مهرجان ابن خلدون، المنعقد فى القاهرة من ٢ الى ٦ يناير، ١٩٦٢: القاهرة، المركز للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٢م.

٩ ـ أبو حمدة محمد على،
النقد الأدبى حول ابى تمام والبحترى فى القرن الرابع الهجرى، دار العربية، بيروت لبنان، ١٩٦٩م.

١٠ ـ ابن الأثير، الشيخ العلامة عزالدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى، الكامل فى التاريخ، ج ٧، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

١١ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون،
مقدمة، طبعة المصحف الشريف بمصر، بلا تاريخ.

١٢ ـ ابن الجوزى أبى الفرج عبدالرحمن بن على ابن الجوزى،
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، المحلد السادس، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، راباد ١٣٥٧هـ.

١٣ ـ بطرس البستانى،
أدباء العرب فى الأعصر العباسية، دار مارون عتود، ١٩٧٩م.

١٤ ـ حاج خالد عثمان الأستاذ المشارك،
المنتخب من المحانى الحديثة، ديوان بهاس دان فستاك، كوالا لمفور، ماليزيا، ١٩٧٣م.

١٥ ـ حسن ابراهيم الدكتور،
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، المطبعة المحمدية، بالقاهرة، ١٩٦٩م.

١٦ ـ خير الدين الزركلى،
الاعلام، الجزء الثانى، مطبعة بيروت، ١٩٦٩م.

١٧ ـ رفاعى أحمد فريد،
عصر المأمون، المجلد الأول، مطبعة دار الكتاب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٧م.

١٨ ـ الساعى بيومى،
تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى بالمشرق، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٣م.

١٩ ـ الشكعة مصطفى الدكتور،
الشعر والشعراء فى العصر العباسى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٠ ـ الشكعة مصطفى الدكتور،
رحلة الشعر من الأموية الى العباسية، ج ٣، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.

٢١ ـ الصيـر فى حسن كامل،
ديوان البحترى، المجلد الأول والثانى والثالث والرابع، دار المعارف، بمصر، ١٩٧٣م.

٢٢ ـ الصولى أبو بكر محمد بن يحيى،
أخبار البحترى، تحقيق وتعليق الدكتور صالح الأشتر، مطبعة المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٩٥٨م.

٢٣ ـ ضيف شوقى الدكتور،
العصر العباسى الأول، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.

٣٤ ـ طه حسين،
من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

٢٥ ـ الطبرى، محمد بن جرير،
تاريخ الأمم والملوك، ج ١٨، مطبعة الحسينية المصرية، بلا تاريخ.

٢٦ ـ طه حسين،
حديث الأربعاء، ج ٢، دار المعارف بمصر، عدم التاريخ.

٢٧ ـ عبدالقادر حسين الدكتور،
مختارات من الشعر فى العصر العباسى، دار التراث العربى، عدم التاريخ.

٢٨ ـ محمود مصطفى،
الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى، الجزء الثانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٩٣٧م.

٢٩ ـ المسعودى أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى،
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، شركات الاعلانات الشرقية القاهرة، ١٩٤٨م.

٣٠ ـ نعيم الحمصى،
الرائد فى الأدب العربى، دار المأمون للتراث، ١٩٧٩م.

٣١ ـ ياقوت الحموى، شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى،
معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

٣٢ ـ اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح،
تاريخ اليعقوبى، المجلد الثانى، دار صادر بيروت، ١٩٦٠م.

٣٣ ـ ياقوت ابن عبد الله الحموى،
معجم الأدباء، ج ١٩، دار المستشرق، بيروت، لبنان، ١٩٣٦م.